القرآن فالجاهل يدخل عليهم من ترك احدى المقدمتين[1] ومن عابرهم من الناس انما يعيبهم بريبة اولاريب ان هذا موجود فى بعضهم يحتجون باحاديث موضوعة فى مسائل الأصول والفروع وبآثار مختلة وحكايات غير صحيحة ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه وربما تأولوه على غير تأويله ووضعوه على غير موضوعه ، ثم انهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدعون اقواما من اعيان الامة ويحهلون ، ففى بعضهم من التفريط فى الحق والتعدى على الخلق ما قد يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا وقد يكون من البدع والضلالات التى توجب غليظ العقوبات فهذا لا ينكره الا جاهل اوظالم وقد رأيت من هذا اعجاب لكم به بالنسبة الى غيرهم فى ذلك كالمسلمين بالنسبة الى بقية الملل ولا ريب ان فى كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه الا من احاط بكل شىء علما لكن كل شر يكون فى بعض المسلمين فهو فى غيرهم اكثر وكل خير يكون فى غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم وهكذا اهل الحديث بالنسبة الى غيرهم .

وبيان ذلك ان ماذكرين فضول الكلام الذى لا يفيد مع اعتقاد انه طريق الى التصور والتصديق هو فى اهل الكلام والمنطق أضعاف أضعاف أضعاف ما هو فى أهل الحديث اضعافا مضاعفة فبازاء احتجاج اولئك بالحديث الضعيف احتجاج هولاء[1] بالحدود والاقيسة الكثيرة العظيمة التى لا تفيد معرفة بل جهلا وضلالا وبازاء تكلم اولئك باحاديث لا يفهمون معناها تكلف هولاء من القول بغير علم اظهر اعظم أضعافا من ذلك واكثر ، وما احسن قول الامام احمد : ضعيف الحديث خير من رأي الرجال . ثم لاهل الحديث من المزية أن ما يقولونه من الكلام الذى لا يفهمه بعضهم هو كلام فى نفسه حق وقد أمنوا بذلك ، واما المتكلمة فيتكلفون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق ، واهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف فى نقض أصل عظيم من اصول الشريعة بل اما فى تأييده واما فى فرع من

[1] عدم الصحة أو عدم الفهم

الفروع واهل الكلام[1] يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة فى نقض الأصول الحق الثابتة اذا عرف هذا فقد قال الله تعالى عن أتباع الأئمة من اهل الملل المخالفين للرسل (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) وقال تعالى (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) ومثل هذا فى القرآن كثير . واذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هى باتباع المرسلين فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين واتبعهم لذلك فالعالمون باقوالهم وافعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة فى كل زمان ومكان وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة فانهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم المورث عن الرسول فيما يجهله غيرهم أو يكذب به ، والرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم البلاغ المبين وقد بلغوا البلاغ المبين ، وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فهو الأمين على جميع الكتب وقد بلّغ أبين البلاغ وأتمه وأكمله وكان أنصح الخلق لعباد الله وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين فاسعد الخلق واعظمهم نعيما وأعلاهم درجة اعظمهم اتباعا وموافقة [له] علما وعملا وأما غيرا تباعه من اهل الكلام فى الكلام أو التصوف التى هى حجتهم وبراهينهم على معارفهم وعلومهم وهذا يدخل فيه كل من خالف شيئا من السنة والحديث من المتكلمين والفلاسفة فالكلام فى هذا المقام واسع لا ينضبط هنا لكن المعلوم من حيث الجملة ان الفلاسفة والمتكلمين من اعظم بنى آدم حشوا وقولا للباطل وتكذيبا للحق فى مسائلهم ودلائلهم لا يكاد والله اعلم تخلو لهم مسئلة واحدة عن ذلك . واذكر انى قلت مرة لبعض من كان ينتصر لهم من المنتسبين الى السنة وانا اذ ذاك صغير قريب العهد من الاحتلام كلما يقوله هولاء ففيه باطل اما

[1] اى المتكلمين والمناطقة